مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12 / العـدد: 02 (2024)، ص: 308-317

الحوار الحضاري بين الغرب والاسلام

معوقاته ومرتكزاته ودعائمه عند: روجيه غارودي

Civilizational dialogue between the Occident and Islam
Its obstacles, its foundations and its supports
By: Roger Garudi

كيبيش عبد الرحمان

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، abderrahmane.kaibiche@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/04/04 تاريخ القبول: 2024/05/21 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى عرض تصور غارودي للحوار الحضاري بملابساته المختلفة؛ عوائقه ومرتكزاته ودعائمه. فهو يعتقد بأن ليبرالية الغرب ومركزيته وتحيزه الحضاري هي عوائق حقيقية للحوار الحضاري. في حين يعتقد بأن الجوانب الأخلاقية والإنسانية المضيئة في الحضارة الإسلامية هي محفزات حقيقية على التقارب والتآلف.

لتنتهي الدراسة إلى أن الحوار الحضاري بين الغرب والإسلام أمر مشروع وقابل للتحقق نظريا، غير أن الواقع العملي يكذب كل ذلك، ذلك أن أغلب الحروب التي خاضها الغرب منذ دعوة غارودي إلى يومنا هذا، قد كانت كلها حروب مدمرة ضد الإسلام والمسلمين، وما حال غزة اليوم إلا دليل على ذلك.

كلمات مفتاحية: الحوار، الحضارة، الحوار الحضاري، الغرب، الإسلام.

Abstract:

This study aims to present Garudi's perception of civilizational dialogue in its various circumstances; its obstacles, its foundations and its supports. He believes that Western liberalism, centralism and civilizational partiality are real

obstacles to civilizational dialogue. While he consider that the luminous moral and humanitarian aspects of Islamic civilization are real motivators for rapprochement and harmony.

The study concludes that civilizational dialogue between the Occident and Islam is legitimate and theoretically feasible, but practical reality belies all of this, as most of the wars that the Western has fought since Garudi's call to the dialogue have all been devastating wars against Islam and Muslims, and the reality of Gaza today is only proof of this.

Keywords: Dialogue, civilization, civilizational dialogue, the Western, Islam.

1. مقدمة

تاريخيا، لا يوجد فاصل زمني كبير بين ظهور نظرية الصراع الحضاري من جهة والدعوة إلى الحوار الحضاري من جهة أخرى؛ فكلاهما ينتمي إلى حقبة زمنية واحدة هي النصف الثاني من القرن العشرين. غير أن الدعوة إلى الحوار الحضاري قد ظهرت كرد فعل نقدي لما ذهب إليه صمويل هنتنغتون، وإن كانت أطروحة هذا الأخير قد تمت صياغتها عام1993، فإن ذلك لم يكن في الحقيقة سوى إعلانا صريحا على نوايا الغرب الذي أكد عليها فوكوياما من قبل في كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير".

إذا كانت نظرية صدام الحضارات قد اقترنت بمجموعة من الأحداث التي هزت العالم، على غرار انهيار الشيوعية، وسقوط حائط برلين وحرب الخليج وغيرها، فقد كانت هذه الأحداث بمثابة الترجمة الفعلية والعملية لنظرية الصدام في بعض جوانبها. وبالمقابل فإن نظرية الحوار قد جاءت تعبيرا عن قلق وأمل صاحبها، قلق من احتمال نشوب حرب ثالثة دينية في أبعادها، تكون بين الغرب والإسلام، وأمل مشروع في إمكانية قيام حوار حضاري يكون بديلا لكل صور التعصب والعنف الذي يمارسه الغرب ضد الإسلام على وجه التحديد.

لكن ذلك لا يعني بأن الحوار عند غارودي قد كان مجرد فكرة أو أمنية عابرة، بل هي تجربة حية حاول أن يعيشها على أرض الواقع؛ فقد أخذ على عاتقه الدعوة إلى حوار بين الماركسية والمسيحية، وقد ظل يدافع عنها طيلة اعتناقه للشيوعية وهذا لاعتقاده بأن مبادئ الشيوعية والمتمثلة بالأساس في مبدأ الحرية لا يتعارض مع مبادئ الإيمان الحقيقي. ولأن هذا النوع من الحوار لم يكن لينجح إلا في حدود إقليمية متمثلة في أوروبا، فقد أخذ على عاتقه الدعوة إلى حوار مختلف من حيث قيمته وأبعاده وهو الحوار بين الغرب والإسلام.

وبناء على ما سبق ارتأينا طرح الإشكالية التالية:

ما هو السياق العام لظهور الدعوة إلى الحوار الحضاري بين الغرب والإسلام؟ ما هي معوقاته؟ ما هي مرتكزاته ودعائمه؟ وإلى أي مدى يمكن تجسيد هذا النوع من الحوار على أرض الواقع؟

2. السياق العام لنظرية حوار الحضارات:

اقترن ظهور نظرية الحوار الحضاري بأحداث هامة ذات أبعاد مختلفة، ساهمت مجتمعة في تكريس مبدأ الصراع والتنافر الذي يحكم علاقة الغرب بالإسلام على وجه التحديد:

- **البعد السياسي**: وقد تمثل في تلاشي الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي. وبالتالي زوال عصر الثنائية القطبية والدخول في عصر جديد هو عصر الأحادية القطبية تحمل لوائه أمريكا منفردة، ومما كرس هذه الحال هو انخراط شكل جديد من الدعاية الفكرية والسياسية المكثفة كان هدفها هو إقناع الرأي العام العالمي بأن أمريكا بفضل عقيدتها السياسية والاقتصادية قد باتت هي النموذج العالمي الأصلح، وبالتالي ينبغي الاحتذاء به والسير على خطاه (هنتنغتون، 1999، ص 255-256).

- البعد العسكري:

بالنظر إلى قدرته الكبيرة على خلق وسائل العنف والدمار بما يمتلكه من تفوق علمي وتكنلوجي، فقد اتجه الغرب إلى تجسيد هذا التفوق ميدانيا من خلال إخضاع الأمم الضعيفة والمتخلفة طوعا أو كرها، وقد كانت وسيلته في ذلك هي خلق تحالفات عسكرية قوية في صورة الحلف الأطلسي. وقد تجسد عمل الحلف ميدانيا من خلال حرب الخليج باسم تحرير الكويت من قبضة النظام العراقي، وقد كان ذلك تحت شعار "الدفاع عن الحق والديمقراطية"، غير أن الغاية الحقيقية من وراء التدمير الذي تعرض له العراق، لم تكن تحرير الكويت وحسب، بل تحقيق مبدأ "العبرة" ضد كل من تسول له نفسه التفكير في تحدي أمريكا في صورة إيران وليبيا (غارودي، 2002، ص36).

- البعد الأيديولوجي: وقد تمثل أساسا في العمل على اختلاق بديل جديد لمحور الشر وقد عبر عنه "هنري كيسنجر" بمصطلح "العدو الوهمي"، وجده الغرب في الإسلام دون غيره، وقد أخذ "صمويل هنتنغتون" على عاتقه الدعاية لهذا التوجه من خلال كتابه "صدام الحضارات" والذي يذهب فيه إلى أن الصراع بين الديانة الإسلامية والديانة المسيحية سيكون أمرا حتميا لا مفر منه (غارودي، 2002، ص36). وقد دعم وجهة نظره هذه بشواهد من النزاعات العسكرية والتي غالبا ما كان الإسلام هو العامل المشترك فيها، على غرار حرب البوسنة والهرسك، حرب الشيشان، النزاع بين الأرمن والترك، بورما في سريلانكا، والروهينغا في بنغلاديش.

- البعد الاقتصادي: وقد تمثل في هيمنة الليبرالية الرأسمالية في المجالات الاقتصادية والتجارية والمالية وحتى الثقافية، فعلى الصعيد الاقتصادي يحمل غارودي ما حل بالإنسانية من بؤس مشؤوم لاقتصاد السوق أكثر من غيره (غارودي، 2002، ص25). ومما زاد في تعزيز قوة الليبرالية الرأسمالية وبالتالي هيمنتها هو خلق مؤسسات ذات بعد عالمي تشرف على تلك الهيمنة في صورة: صندوق النقد الدولي، ظاهره تقديم

المعونة للدول المتخلفة من أجل استثمارات تنموية، غير أن الحقيقة هي تكريس هيمنة الغرب الليبرالي بزعامة أمريكا (غارودي، 2002، ص35).

فهذه الأبعاد مجتمعة قد كرست العوائق الذاتية لدى الغرب والتي تحول بينه وبين تقبل فكرة الحوار أو التقارب بينه وبين الإسلام.

3. معوقات الحوار الحضاري:

بفضل اختباره لحقيقة الأنظمة الليبرالية والماركسية والشيوعية والتي كانت في نظره وبالا على الشعوب الضعيفة بما تحمله من نوايا الهيمنة والسيطرة، وكذا بفضل معاصرته للكثير من النزاعات والحروب، استطاع غارودي أن يؤسس لنظرة استشرافية مستقبلية يذهب فيها إلى أن كل أشكال التعصب والتطرف والحروب، قد لا تنتهي في الأمد القريب ما لم يجنح الكل إلى الحوار وعلى رأسهم الغرب فهو المعني أكثر من غيره بضرورة السعي إلى إحداث نوع من التقارب والتواصل بينه وبين الإسلام بالدرجة الأولى، ولكن عليه أولا أن يتجاوز معوقاته الذاتية والمتمثلة فيما يلي:

- **الهيمنة الامبريالية**: يعتقد غارودي بأن وجود الامبريالية الرأسمالية سيظل العائق الأكبر أمام أي حوار أو تقارب بين الحضارات. وفي هذا يقول: «إن حوار الحضارات لا يمكن أن يكون في ظل وجود الامبريالية فعندما تكون موجودة يكون الحوار منعدما لأنها في الأصل لا تؤمن بالحوار مع الآخر، لهذا لا يمكن إحداث هذا النوع من التقارب والتحاور» (غارودي، 1977، ص107).

- **عقيدة المركزية الغربية**: وهي العقيدة التي تجعل من الأنا الغربي مركزا لكل ما دونه من الذوات، وبالتالي فإن الحضارة الغربية هي المركز وكل ما دونها مجرد هوامش أو لواحق من الثقافات التي لا ترقى إلى مفهوم الحضارة بالمعنى التام. وفي هذا يقول: «أيها الإنسان عن طريق عقلك القوي تصبح إلها، المالك والسيد لكل العناصر» (غارودي، 2002، ص95) في إشارة منه إلى نظرية الرجل الأبيض الذي يتفوق على غيره في كل شيء ويتخذ من ذلك مدعاة لاستعلائه وطغيانه.

- **أطروحة "الأنا والآخر":** أو الغرب والأخر هي أطروحة غربية في منشأها ومنبتها وقد أرادها الغرب أن تكون بمثابة الإطار النظري الذي ينبغي أن تسوق من خلاله حتمية الصراع بين الغرب الذي يمثل قيم الحرية والديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان والآخر باعتباره البيئة الغير صالحة لقيام أي نظام ديمقراطي. وهي الصورة الوهمية والمشوهة التي يحاول الغرب ترسيخها في ذهن ومخيال الإنسان الغربي (غارودي، 1985، ص187).

- **التحيز الحضاري الغربي:** وهو مفهوم أشار إليه المفكر الإيراني "علي شريعتي" في كتابه "العودة إلى الذات" كما تناوله المفكر المصري "عبد الوهاب المسيري" بكثير من التفصيل في كتابه "إشكالية التحيز" والتحيز بمعنى تبني رؤية معينة والدفاع عنها إلى حد رفض كل ما سواها من الرؤى الأخرى، وعليه يكون التحيز الحضاري الغربي قيمي وثقافي في جوهره، وهو داء يصعب الشفاء منه وذلك بسبب الغرور الذي أصاب العقل والروح الغربي نتيجة امتلاكه لكل شروط التمكين الحضاري، وهذا ما يتجلى في شتى صور التفوق المعرفي والاقتصادي والعسكري والأدبي والفني، فالغرب ينتج المعرفة والغذاء وكذا الدواء والسلاح وحتى الدعاية الفنية والسينمائية، في حين يقتصر دور بقية الشعوب الضعيفة على غرار الشعوب الإسلامية على الاستهلاك وبالتالي الخضوع والتبعية الدائمة (غارودي، 1985، ص189).

4. مرتكزات الحوار الحضاري

يعتقد غارودي بأن قيام أي حوار حضاري بين الغرب والإسلام يتوقف على مدى قدرة الغرب في التخلص من كبريائه وغروره وتحيزه، ولهذا السبب يستند في دفاعه عن مشروعه للحوار الحضاري بين الغرب والإسلام إلى مرتكزات كثيرة وهي بمثابة الشروط التي تستوجب الجنوح للحوار وتكريس مبدأ التعايش الدائم بين الشعوب والحضارات بدلا من الصراع والنفور، ونذكر أهمها كالآتي:

- **الاعتراف بوجود الآخر** باعتباره جزءا من وجود الأنا، وثقافته جزءا من ثقافة الأنا، وهذا لا يكون إلا بتقديم روح التسامح والتواضع المفضيان إلى تقبل الآخر بدلا من روح التعالي والازدراء المفضيان إلى نفي وإنكار وجود الآخر، فالحوار يستلزم بالضرورة الاعتراف بوجود الآخر حتى يسهل بعد الاستماع والإنصات إليه.

- **قراءة الآخر بمنظار الموضوعية** بعيدا عن الغرور والذاتية وهذا يستلزم التحرر من التحيز في دراسة الثقافة اللاغربية وهذا بدوره يقتضي من الغرب أن يقوم بعملية نقد ذاتية تمنحه القدرة على الانفتاح على مكونات الثقافات والحضارات الأخرى فيتقبل الأخذ منها دون إنكار أو ازدراء (غارودي، 1977، ص106). أي أنه يدعو إلى ضرورة القيام بقراءة موضوعيه لمكونات الحضارة الإسلامية دون كبر أو استعلاء، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لإدراك مدى أهمية ما تكتنزه هذه الحضارة من قيم إنسانية هي مدعاة للتلاقي أكثر منها مدعاة للنفور.

- **الاهتمام بالدراسات التاريخية** وكذا الدراسات التاريخية المقارنة بقدر الاهتمام بغيرها من الموضوعات، ذلك أن التاريخ هو النافذة المطلة على حقيقة الآخر وما يعبر عنه من قيم مختلفة، وهنا يؤكد غارودي على أن تمايز الحضارات أمر طبيعي لا مفر منه، غير أن ذلك لا ينبغي أن يكون مدعاة للتعارض والتنافر، ومنه فالأولى بالعقل البشري القارئ لتاريخ الحضارات والثقافات أن يركز على المقومات الإنسانية المشتركة التي تتسم بطابع الكلية والشمولية.

- **ترسيخ ثقافة الحوار** من خلال تضمينها في مناهج التربية والتعليم، على أن تشمل تلك المناهج كل مستويات الأفراد في المجتمع.

5. دعائم نظرية الحوار الحضاري:

يعتقد غارودي بأن فرص قيام حوار حضاري ممكنة بالفعل أكثر من فرص انعدامه، مستندا في ذلك على عدة دعائم هي بمثابة الحجج ولعل من أبرزها:

- **دعامة ذاتية**: وقد تمثلت في اعتناقه للإسلام، فقد كانت تجربته الدينية كافية للوقوف على أن الحوار وأساسه المجادلة بالتي هي أحسن يعد المبدأ الحضاري الجوهري في الإسلام والذي يبشر به القرآن في أكثر من موضع، وهذا ما يتجلى في قوله: «وجادلهم بالتي هي أحسن» (الآية 25، سورة النحل)، «ولا إكراه في الدين» (الآية 256، سورة البقرة)، و«لكم دينكم ولي دين» (الآية 6، سورة الكافرون)، وفي هذا دليل واضح على انتفاء المزاعم المنسوبة للإسلام على أنه دين يقوم على الإكراه أو العنف.

- **دعامة علمية:** ومفادها أن المسار التاريخي لتطور العلم متصل غير منقطع، وهذا ما أكد عليه المستشرق ومؤرخ العلم البلجيكي "جورج سارطون"(1884-1956)؛ فقد ذهب إلى أن فضل علماء العرب والمسلمين كبير على غيرهم من الأمم، مؤكدا بذلك على أن حلقات تطور العلم متصلة غير منفصلة وأن القول بخلاف ذلك يناقض الموضوعية العلمية ذاتها. فما ينطبق على حلقات العلم ينطبق على حلقات الحضارة أيضا، أي أن هناك حضارة واحدة مشتركة ساهمت فيها الإنسانية جمعاء. وقد عبر "حسين مؤنس" عن هذا المعنى في كتابه "الحضارة" بقوله: «الحضارة ظاهرة إنسانية عامة» (مؤنس، 1978، ص44). وأن البشر لم يعرفوا إلا حضارة واحدة بدأت منذ فجر التاريخ واتصلت إلى يومنا هذا، وأن كل شعب قد حمل مشعلها في فترة من الفترات عبر تاريخ الزمن الطويل (مؤنس، 1978، ص190).

فالحضارة الإسلامية قد استفادت من مآثر الفكر اليوناني بفضل حركة الترجمة والنقل التي شهدها العصر العباسي الأول، وبالمثل فإن النهضة الأوروبية قد استفادت من الحضارة الإسلامية بفضل ما وصل إليه المسلمون في علوم مختلفة على غرار الكيمياء والجبر والطب والفلك وحتى علم الاجتماع، فلا وجود إذن لحضارة تزدهر من العدم، بل إن مبدأ الأخذ والعطاء قد كان هو السر فيما وصلت إليه الإنسانية من ازدهار مذهل في شتى مناحي العلوم والحياة.

فلا يمكن إذن للغرب أن يقنع نفسه بأنه في غنى عن الآخرين، بل إن الشواهد التاريخية تثبت بأن قيام حضارته المادية قد كان على حساب قهر الآخر في صورة المد الاستعمار وتجارة العبيد واستنزاف خيرات الشعوب الضعيفة. وهذا ما يشير إليه في مستهل كتابه "حوار الحضارات" إذ يقول: «إن عصر النهضة، ليس حركة ثقافية فحسب، بل هو ولادة مواكبة أنجبت الرأسمالية والاستعمار، وقد هدم حضارات أسمى من حضارات الغرب» (غارودي، 1999، ص9).

- **دعامة عملية**: وتتمثل بالأساس في رحلاته وأسفاره التي أخذته إلى مختلف بقاع العالم الإسلامي من إفريقيا إلى بلاد الجزيرة العربية وصولا إلى بلاد الهند والسند، فقد سمحت له بالاطلاع والتعرف على الجوانب المضيئة لدى مختلف الشعوب والأمم، وهي الجوانب التي ما كان ليكتشفها لو كان غازيا أو مستعمرا.

- **دعامة فنية:** ومن خلالها يؤكد غارودي على أن الفن الغربي ومنذ عصر النهضة قد استفاد من الفن اللاغربي في صورة الفن الإفريقي والاسلامي، وهذا أمر لا مراء فيه إذ يقول: «نشاهد أن تأثير الثقافات اللاغربية في الفن الغربي تأثيرا لا مراء فيه منذ عصر النهضة» (غارودي، 1999، ص110). ولتأكيده على عدم وجود أي تعارض بين الفن والإسلام لجأ غارودي إلى دراسة الفن الإسلامي فاكتشف بأن جميع الفنون الإسلامية تنتهي إلى المسجد وأن المسجد يؤدي إلى الصلاة والصلاة تؤدي إلى الله. يقول: «المسجد بأحجاره المنقوشة والمزخرفة والتي تبدو وكأنها خاشعة لله تصلي له، هو مركز إشعاع كافة نشاطات الأمة الإسلامية، هو نقطة الالتقاء التي تتجه إليها كافة الفنون» (غارودي، 1983، ص133).

تؤكد مكانة الفن في الإسلام على أن الإسلام ليس دين عبادة وحسب، بل هو دين مرن لا يختلق الحواجز بين ما هو دنيوي وما هو مقدس، وسمة ذلك أن الفن يتشابه مهما كان منشأه؛ فهو يتصف بخاصية الوحدة العميقة التي من السهل على المرء اكتشافها بالتواجد في أماكن مختلفة من العالم الإسلامي. يقول غارودي في هذه

الحقيقة: «إن نظرة ولو سطحية، على الفن الإسلامي في العالم تبين وحدته العميقة. فحينما نمعن النظر في أي بناء نتطلع إليه فإننا نشعر بالتجربة الروحية نفسها تعيش فيه. بالنسبة لي، من مسجد قرطبة الكبير إلى جوامع تلمسان الصغيرة، وإلى مسجد القرويين في فاس (...) فإنني كنت دائما أشعر وبشكل حي، أن كل هذه المباني قد بناها شخص واحد واستوحاها من الإيمان ذاته وتلبية لدعوة إله واحد» (غارودي، 1983، ص133).

وفي السياق ذاته يذهب غارودي إلى أن الإبداع الجمالي المتعدد في صوره وألوانه وأشكاله ومواضيعه، يعكس في حد ذاته جوهر الروح الحقيقي للإنسان والمتمثل في القابلية الطبيعية للتآلف والانسجام؛ فهذا المبدع أو ذاك الفنان باعتباره إنسانا من جهة وباعتباره فنانا قادرا على أن يستخرج من صور التعارض والتنافر الموجود في الطبيعة، صورا تعكس الوحدة والتآلف يملك ولا شك القدرة على تقبل مبدأ الحوار والاعتراف بالآخر.

فلا يمكن لمن يتذوق الجمال أن يكون فظا ذا طبع متوحش كما تصور الدعاية الغربية، فضلا عن أن الجميل صفة إلهية "إن الله جميل يحب الجمال" فالله جميل بالمطلق ويحب الجمال في كل شيء ولا شك في أن تمثل الجمال والحب سببان للارتقاء في سلم النبل الإنساني الذي يتعارض مع كل مشاعر البغض والنفور والكراهية.

- **دعامة تاريخية:** ينظر الكثير من الفلاسفة والمفكرين الغربيين الكبار إلى تاريخ البشرية على أنه تاريخ للحروب الدامية فقط، وفي ذلك يستندون إلى ما تتركه الحروب من آثار ممتدة في المكان والزمان، غير أن ذلك دليل كاف على أن الحوار الحضاري لم يكن أبدا هو المهيمن ولا هو دائم الحضور، وهو الأمر الذي كان يفسح الطريق دائما لمبدأ الحرب والصراع.

إن أساس العلاقة بين الحضارات هو التفاعل والتواصل، فهذه هي القاعدة أما الصدام فيمثل الاستثناء العارض، غير أن الغرب يصر على جعل هذا الاستثناء هو

التاريخ الحقيقي، لكنه في نظر "غارودي" تاريخ للفرص الحقيقية التي أضاعتها الإنسانية على نفسها بسبب غرور التفوق الغربي، وهو في الأصل لم يكن تفوقا ثقافيا بل تفوق مبني على استخدام تقنيات السلاح والبحر لأهداف عسكرية وعدوانية (غارودي، 1999، ص9).

وعليه ينبغي إعادة الاعتبار لمبدأ الحوار الحضاري وتغليبه على مبدأ السيطرة والهيمنة حتى يغدو هو الغاية والوسيلة في الوقت نفسه. «لقد حدثت في التاريخ لقاءات مختلفة بين الحضارات، وسيتيح لنا تأملها أن نعرف تعريفا أفضل شروط إمكان لقاء جديد ووسائل تيسيره والإغناء الإنساني المرتقب منه» (غارودي، 1999، ص180). فما حدث في الماضي بإمكانه أن يتكرر في الحاضر والمستقبل، وسر ذلك هو أن الحضارات متقاطعة من حيث مكوناتها وامتداداتها في الزمان والمكان، يضرب لنا مثالا من تاريخ الحضارات في صورة "الأندلس" التي كانت صورة للتقاطع الحضاري بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، فلم توجد إذن أي حضارة من عدم كما لم توجد أي حضارة بمعزل عن غيرها من الحضارات، وهذا ما يعبر عنه غارودي بمفهوم "شبكة الانتشار الكلي» (غارودي، 1999، ص156).

6. خاتمة (نقد وتقييم)

إذا كانت أطروحة الحوار الحضاري أطروحة عملية في أبعادها، فينبغي أن يكون تقييمها عمليا أيضا، أي تقييمها بميزان الواقع لا بميزان النظر وحسب، وعليه لا ينبغي طرح السؤال بالصيغة المألوفة: إلى أي مدى يمكن أن يتحقق الحوار فعليا وعلى أرض الواقع؟ وإنما ينبغي طرح السؤال على النحو الآتي: هل الواقع الراهن يؤكد أم ينفي أي إمكانية لقيام حوار حضاري حقيقي؟

إن الحقيقة التي يؤكدها الواقع، واقع العلاقات بين الحضارات هي أنه لا وجود لإمكانية قيام أي حوار حضاري؛ فلا شك في أن حدوث ذلك سيزيل الكثير من أسباب النفور والتعصب الذي يهيمن على علاقة الغرب بغيره من الأمم، غير أن الغرب يرفض

الحوار لأنه يدرك أكثر من غيره بأن الحوار لن يكون في صالحه؛ فهو يعني بالضرورة "تكريس مبدأ التكافؤ بين الأنا والآخر"، والأسوأ من ذلك هو أنه يأخذ هذا المبدأ بأبعاده الدينية، أي أنه يرفض بالأساس مبدأ التكافؤ بين الهلال والصليب، وهذا ما يفسر بأن الغرب دائما ما يختلق حروبا استباقية يعمل فيها على إضعاف الإسلام والمسلمين، فتارة باسم أسلحة الدمار الشامل (العراق)، وتارة باسم التمرد على شرعية النظام العالمي(ليبيا)، ومرة باسم خطر الإرهاب العالمي (أفغانستان). ولعل خير دليل على الحرب الاستباقية التي يمارسها الغرب باسم الدين، هي صمته وسكوته عن الإبادة الجماعية التي تعرض لها شعب البوسنة والهرسك من طرف الصرب (محاكمة "رادوفان كاراديتش" مسرحية كان الهدف منها جعل الرأي العام العالمي وخاصة الإسلامي منه لا ينقض كل إيمانه بمصداقية الغرب).

وما يؤكد على هذه الحقيقة هي الأحداث الأخيرة في الحرب على غزة، فهي تثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن رهان القوة والسيطرة والإخضاع يهيمن على رهان الحوار والتقارب، وعليه فإن أي دعوة للحوار مهما كان شأنها فإنها لا تخرج عن نطاق الاستجداء، استجداء الضعيف للقوي تحقيقا لبقائه واستمراره على قيد الحياة. غير أن المنطق الطبيعي للأشياء لا يعترف بمنطق أطروحة الحوار الحضاري، وذلك لأن الحوار الحضاري المرغوب فيه لم يكن أبدا بين أطراف متكافئة في القوة، بل كان بين طرفين أحدهما قوي والآخر ضعيف، فكيف يمكن إقناع القوي بالجنوح إلى الحوار وهو على وعي تام بقوته وتميزه؟ وبأي منطق يرضى بالحوار وهو الذي يمتلك كل شروط الغلبة والتفوق؟

وعليه يمكن القول بأن الوسيلة الوحيدة التي تضمن قيام حوار بين الحضارات بشكل عام وبين الغرب والإسلام هو أن يمتلك المسلمون القوة أولا، القوة بكل معانيها وأبعادها، وخير مثال على مبدأ التكافؤ في القوة مع الغرب هو الصين، ولعل أحداث جزيرة "تايوان" الأخيرة إلا دليل قوي على مدى مكافئة الصين لأمريكا من حيث القوة

الاقتصادية والعسكرية، وهو ما يسمح لها بمقارعة كل محاولات أمريكا الرامية إلى لي ذراعها أو التدخل في شؤونها الخاصة.

7. قائمة المراجع:

غارودي، روجيه. (1977). *مشروع الأمل* (ط1). بيروت: دار الآداب.

غارودي، روجيه. (1983). *الإسلام دين المستقبل*، دمشق: دار الإيمان للطباعة والنشر.

غارودي، روجيه. (1985). *وعود الغرب*(ط2)، بيروت: دار الشرق.

غارودي، روجيه. (1999). *في سبيل حوار الحضارات* (ط4)، بيروت: عويدات للنشر والطباعة.

غارودي، روجيه. (2002). *كيف نصنع المستقبل*(ط3). القاهرة: دار الشروق.

غارود، روجيه. (2002). *حفارو القبور*(ط3). القاهرة: دار الشرق.

مؤنس، حسين. (1978). *الحضارة* (العدد الأول)، الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

هنتنغتون، صمويل. (1999). *صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي*(ط1). الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع.

.